الشباب ما بين الواقع والمجتمع الافتراضي

Youth between reality and virtual society

ط/د.شابونية زهية ط /د .وسام عطوم

جامعة جيجل جامعة قسنطينة-2-

الملخص : أضحى المجتمع الافتراضي حقيقة لا مفر منها، كنتيجة حتمية للنمو المذهل للتكنولوجيات الرقمية. فالمجتمع الافتراضي مجتمع موازي للمجتمع الواقعي، يؤسس لمنظومة مفاهمية جديدة وسياق ثقافي جديد، ليدخل بذلك الفرد في عالم متنوع المعالم الثقافية والحضارية، دون رقابة وضوابط اجتماعية، فالفرد فيه هو من يضع حدود تجوله وثقافته ونمط شخصيته فهو سيد نفسه.

ومن هنا جاءت هذه المساهمة العلمية كمحاولة للبحث في حقيقة الشباب في المجتمع الافتراضي، باعتبار فئة الشباب الفئة الأكثر تجولا في هذا المجتمع، فهل فعلا يحافظ الشباب على ثقافتهم وقيمهم في المجتمع الافتراضي؟ أم أنهم يتمثلون شخصيات افتراضية لا علاقة لها بشخصيتهم الحقيقية متجردين معها عن قيمهم و ثقافتهم نتيجة لغياب الضوابط الاجتماعية؟ وما تأثير هذا المجتمع الافتراضي على الشباب باعتباره مجتمعا موازيا للمجتمع الحقيقي؟

الكلمات المفتاحية : الشباب ، المجتمع ، المجتمع الافتراضي .

Abstract

The virtual society has become an unavoidable reality, an inevitable consequence of the spectacular growth of digital technologies. The virtual society is a society parallel to the real society, establishing a new conceptual system and a new cultural context, to enter a world of diverse cultural and civilizational characteristics, without controls and social norms.The countries that wanted to build a civilization have realized that it is about the human industry in accordance with civilized frameworks and that the rise of the underdevelopment depends mainly on the education, care and protection of young people from all that may hinder their mental, psychological and healthy development. Depending on the principle of "the most useful and useful teacher of the violator". The individual in society sets limits to his journey, culture and personality

Therefore, this scientific contribution is an attempt to research the reality of young people in the virtual community. Considering the category of youth as the most common in this society, do these young people really maintain their culture and values in the virtual society? Or are they virtual characters who have nothing to do with their true personality, who share their values and culture through lack of social control? What is the impact of this virtual society on youth as a parallel society of the real society?

Keywords: Young, The real society, The virtual society.

مقدمة:

مما لا ريب فيه أننا في زمن التكنولوجيا، حيث اكتسحت كل جوانب حياتنا حتى الخاصة منها، فأصبح صغيرنا قبل كبيرنا يستعملها، ولعل من أهم نتائج انتشار التكنولوجيا في حياتنا هو ظهورمجتمع آخر إلى جانب مجتمعنا الحقيقي ألا وهو المجتمع الافتراضي، الذي كان نتاجا للتعقيد التقني، فالتقدم التقني ونمو شبكة الاتصالات الرقمية مَكّن مختلف الفئات الاجتماعية من دخول هذا المجتمع بكل سهولة، هذا الأخير الذي أضحى كالقرية السحرية التي تحبط أمال كل من حاول الفتاك منها وقرر أن يقاطعها، حيث لا يجد نفسه إلا وقد عاود طرق بابها، فأصبح الفرد منا حتى قبل نومه يصطحب هاتفه الذكي معه ليزور هذا العالم العجيب فيختم به يومه.

وما يعرف عن جيل اليوم أنه جيل رقمي، يعيش حياة رقمية تعد جزءً لا يتجزأ من حياته اليومية، حيث يتفاعل فيه مع مجموعة أفراد بطريقة افتراضية، مشَكِلاً بذلك علاقات، ومتبنيا قيما وثقافات واتجاهاتتنغرس فيه تدريجيا، لتشكل بذلك ثقافته الجديدة، فالمجتمع الافتراضي بكل ما يملكه من قوة تأثير باعتباره مصدرا للتعبئة الجماهيرية وصياغة الرأي العام أصبح مدخل للولوج للمجتمعات الحديثة وفهم ثقافتها المتشكلة نتيجة تفاعل الشباب مع التكنولوجيا.

ومنهنا تأتي دراستنا البحثية لمحاولة معرفة حقيقة الحياة التي يعيشها الشباب في المجتمع الافتراضي، فهل حياته بين المجتمع الافتراضي والمجتمع الواقعي مختلفة؟ وهل يلتزم بنفس المنظومة القيمية والثقافية لمجتمعه؟ أم أنه يتجرد منها نتيجة لغياب الرقابة والضوابط الاجتماعية ؟ وهل أثر هذا المجتمع على شخصيته ومبادئه وثقافته وقيمه؟.

المحور الأول: المفاهيم المفتاحية للمداخلة (الشباب- المجتمع- المجتمع الافتراضي)

1- الشباب:

يطرح مفهوم الشباب اشكالية علمية بشأن تحديد الفترة العمرية له بين مختلف المنظرين والباحثين، حيث نجد لها تقسيمات متعددة، "فثمة من يحددون بدايتها بسن الثالثة عشرة، ويطلقون عليها-حتى سن الواحدة والعشرين على الأقل- مرحلة المراهقة. وهناك من يبدأها بالرابعة والعشرين: ويحدد فترتها الأولى بنهاية الثامنة عشرة، ويصل بفترتها الثانية-أو المتأخرة- من سن السابعة عشرة حتى السابعة والعشرين أو ما بعدها. بل إن بعض الباحثين- الذين يبدؤون بها عند الخامسة عشرة-يصلون بها إلى حدود الثلاثين. ويراها آخرون عصية على التحديد، تختلف بدايتها ونهايتها من فرد إلى فرد، ومن جنس إلى جنس، ومن ثقافة إلى ثقافة"[1]، فمفهوم الشباب ليس معطى ثابت محدد البداية والنهاية، بل إنه مفهوم من الصعب جدا تحديد سن بدايته وسن نهايته لأنه لا يرتبط بالنضج الجسمي فقط بل يرتبط كذلك بالنضج العقلي والنفسي والاجتماعي، أين يصبح البالغ واعي قادر على تحمل مسئولية إجتماعية.

ويشكل الشباب قوة حيوية في أي مجتمع، فمهما اختلفت التعاريف حول هذه الفئة العمرية " فللشباب في كل زمان ومكان خصائص إنسانية متشابهة سيكولوجيا وسلوكيا ودافعيا وهي تنطوي على كثير من

سمات العطاء والكرم والحماسة والمروءة، كما تنطوي في الوقت نفسه على الكثير من التسرع والتردد والقسوة والعنف."[2]

فالشباب هم فئة اجتماعية مهمة جدا في المجتمع، حيث تمثل قوته، ومن الصعب جدا تحديد فترتها العمرية فقد تباينت الآراء حوالها، ولكن للشباب صفات مشتركة سيكولوجية وسلوكية ودافعية.

2- المجتمع

المجتمع مجموعة من الأفراد تسكن بقعة جغرافية محددة، تسود فيها مجموعة من المبادئ والمفاهيم والقيم والروابط الاجتماعية والأهداف المشتركة التي تميزها عن غيرها من الجماعات، والمستمدة من خصوصياتها في اللغة والتاريخ والدين والشعور بالمصير المشترك، فالمجتمع هو "كيان جماعي من البشر، بينهم شبكة من التفاعلات والعلاقات الدائمة المستقرة نسبيا، وتسمح باستمرار هذا الكيان وبقائه في الزمانوالمكان."[3]

فالمجتمع هو "نسق مكون من العرف المنوع والاجراءات المرسومة، ومن السلطة والمعونة المتبادلة، ومن كثير من التجمعات والأقسام، وشتى وجوه ضبط السلوك الإنساني والحريات. هذا النسق المعقد الدائم التغير يسمى المجتمع.إنه نسيج العلاقات الاجتماعية. وأخص صفات المجتمع أنه لا يثبت على حال."[4]

فالمجتمع إذا هو مجموعة من الأفراد بينهم شبكة من التفاعلات والعلاقات وتربطهم ثقافة مشتركة، ولكل مجتمع خصوصياته ومبادئه وقيمه، وهو يتميز بالتغيير.

3- المجتمع الافتراضي:

مع ثورة الإتصالات الحديثة وانتشار التكنولوجيا وثقافة الرقمنة والوسائط المتعدد، ظهر شكل جديد من أشكال التجمعات الاجتماعية ما اصطلح عليه بالمجتمعات الافتراضية، وكان أول ظهور لهذا المصطلح في صورته الإنجليزية عنوانا لكتاب "هوورادراينجولد" (1993)، والذي عرفه بأنه "تجمعات إجتماعية تنشأ من الشبكة حين يستمر أناس بعدد كاف في مناقشتهم علنيا لوقت كاف من الزمن بمشاعر إنسانية كافية لتشكيل شبكات عن العلاقات الشخصية في الفضاء السيبيري"[5]، هذا الفضاء الذي اعتبره الباحث في علم اجتماع الآلي –بن رحومة– حينما تطرق إلى النظرية السايبيرية التي ترتكز على وجود الفضاء الافتراضي كحقيقة لها أبعادها المختلفة في الأنترنت، "مجالا رقميا إلكترونيا، يوجد داخل مسافات متشابكة من خطوط وقنوات الاتصال المعدنية والضوئية والهوائية في الأنترنت... ومن خلال هذا الفضاء يحدث التفاعل البشري الآلي عقليا ونفسيا واجتماعيا بمختلف الحواس الإنسانية وكذلك الآلية. "[6]

فالمجتمعات الافتراضي هي "تجمعات اجتماعية مكونة من أفراد من أماكن متفرقة في أنحاء العالم يتواصلون فيما بينهم عبر شاشات الكمبيوترالمتصلة بشبكة المعلومات الدولية، وتجمع بينهما هتمامات مشتركة أو حديث Chattingوتحدث بينهم تفاعلات آلية عن طريق شبكة المعلومات الدولية، قد تكون متزامنة ف ي صورة دردشة مباشرة بالصوت فقط أوبالصوت والصورة معا،أوغيرمتزامنة عن طريق

الكتابة أوإرسال الصور والملفات يتبادلون المعارف والمعلومات فيما بينهم يكونون العلاقات الصوتية المرئية عبرالبريد الالكتروني E- Mail ويمارسون أنشطة مختلفة.[7]"

وحسب ريجونلد فإن عناصر المجتمع الإفتراضي هي: "الأفراد والعلاقات الإجتماعية، والأهداف. هذه العناصر تتفاعل مع بعضها البعض وفق ديناميكية في الزمان."[8]

إذا فالمجتمع الإفتراضي هو عبارة عن فضاء سيبيري يتفاعل فيه الأفراد من مختلف الأماكن عبر شاشات الكمبيوتر بالصوت أو الكتابة أو بالصوت والصورة معا، فهو فضاء رحب يسمح بممارسة كافة الأشكال الإتصالية التي يمارسها الإنسان في العالم الواقعي، كالمحادثة مع الآخرين وتكوين الصدقات وممارسة مختلف النشاطات والتعبير عن الآراء الشخصية ونشر الملفات والصور في المنتديات والمدونات وغيرها الكثير مما يتيحه هذا الفضاء والذي يضم:

* الشبكات الاجتماعية الافتراضية :أو ما يعرف بمواقع التواصل الإجتماعي والتي انتشرت بشكل رهيب ويشارك فيها الكبير والصغير، وتتمثل في تويتر، الانستغرام، السكايب، والفايس بوك.

* المدونات :وهي أداة إتصال يعبر من خلالها المدون عن آراءه وأفكاره فنجد بها: يوميات، خواطر، إنتاج أدبي أو علمي... الخ.

* المنتديات :هي مواقع إلكترونية تفاعلية تعرف بأنها ساحات للحوار وعرض الأفكار بين عدد كبير من المستخدمين.

* غرف الدردشة:وهي عبارة عن تجمع بشري إلكتروني يكون بين اثنين أو أكثر والتفاعل بينهم بشكل مباشر بالصوت أو الكتابة أو بالصوت والصورة.

* مجموعات الاخبار: هي خلاف رسائل البريد الإلكتروني تسمح لأي شخص يقوم بعرض المجموعة التي نشرت هذه الرسائل فيها بالاطلاع على محتواها، ففي هذه المجموعات تتم الكتابة لجمهور أكبر من جمهور البريد الإلكتروني.

المحور الثاني: قراءة سوسيولوجية لموضوع الدراسة:

تعد النظرية السوسيولوجية مطلبا لا بد منه لفهم كل ما له علاقة بالمجتمع، واختلفت النظريات الاجتماعية في مداخل تفسيرها لمختلف الظواهر، وفي موضوعنا هذا لاحظنا أن النظرية التفاعلية الرمزية والوظيفية هي أفضل مقاربة لموضوع الدراسة، باعتبارنا نتطرق للحديث عن تفاعل الشباب مع كلا المجتمعين سواء الواقعي أو الافتراضي، ولبحثنا عن الأثر الذي يمارسه المجتمع الافتراضي على الشباب في الواقع.

1- النظرية التفاعلية الرمزية:

تعود أفكار النظرية التفاعلية الرمزية إلى ماكس فيبر، وقد قام بتطويرها الكثير من علماء النفس الإجتماعي من أمثال جورج هربت ميد، وتقوم على أساس مفهومين أساسين هما الرموز والمعاني، أما الرموز فمن خلالها يعبر الناس عن أفكارهم، والجماعة هي من تتفق على معانيها، وبالنسبة للمعاني

فالتفاعلية الرمزية تهتم بالمعاني التي يعطيها الأفراد لسلوكياتهم المختلفة في المجتمع، وبالإمكان أن نلخص مبادئ النظرية التفاعلية الرمزية كما أشار إليها مؤسسها "هربت ميد" في:[9]

- يحدث التفاعل الاجتماعي بين الأفراد الشاغلين لأدوار إجتماعية معينة ويأخذ زمن يتراوح من أسبوع إلى سنة.
- بعد الإنتهاء من التفاعل يكون الأفراد المتفاعلون صورا رمزيا ذهنية عن الأشخاص الذين يتفاعلون معهم، وهذه الصور لا تعكس جوهر الشخص وحقيقته الفعلية، وإنما تعكس الحالة الإنطباعية السطحية التي كونها الشخص إتجاه الشخص الآخر الذي تفاعل معه خلال مدة زمنية.
- عند تكوين الصورة الإنطباعية عن الفرد فإنها تلتصق، وبمجرد مشاهدته أو السماع عنه أو التحدث إليه من دون التأكد من صحة المعلومة لأن الشخص اعتبر الفرد الآخر رمزا والرمز هو الذي يحدد طبيعة التفاعل.
- حينما تتكون الصورة الرمزية عن شخص معين، فإن هذه الصورة سرعان ما ينشرها الشخص الذي كونها عن الشخص الآخر المتفاعل معه، وتنتشر هذه الصورة بين الآخرين مع العلم أنه عندما يعطي الشخص المقيم انطباعا رمزيامعين يكون هذا الأخير ذا نمط متصلبا، وهذه الصورة الرمزية الانطباعية سرعان ما يعلم بها الفرد المقيم فقيم نفسه بموجبها، وهنا يكون تقييم الفرد لذاته بموجب الصورة الرمزية المكونة عنه.

فالتفاعلية الرمزية إذا تهتمبتفسير طبيعة التفاعل الاجتماعي للفرد مع غيره، والتعرف على الرموز التي يتبادلها مع الآخرين والمعاني التي تحملها،والمجتمع الإفتراضيكالمجتمع الواقعي يضم العديد من الأفراد الذين يتفاعلون مع بعض بمختلف الوسائط الإلكترونية، مُشَكلِين بذلك رموزا ومعاني جديدة،وبذلك يلعبهذا المجتمع دور إعادة إنتاج الثقافة،لأن التفاعل المستمر للفرد في المجتمع الافتراضي وتعرضه لمضامين مختلفة القيم والثقافات والأفكار بشكل فردي، يجعل كل فرد يفسرها بتأويله الخاص، فيتبنى أفكار ومعاني ورموز وقيم جديدة، والتي ستؤدي به للعيش في صراع بين ثقافته الإفتراضية وثقافته الأصلية.

2- النظرية البنائية الوظيفية:

عرفت النظرية البنائية الوظيفية عدة تسميات منها النظرية المحافظة، نظريات التحليل الوظيفي، وقد جاءت نتيجة جهود عدة باحثين توصلوا في النهاية لاعتبار المجتمع نسق كلي يتكون من عدة أنساق فرعية، كل نسق له وظيفة لا بد أن يقوم بها وإلا أدى ذلك إلى خلل وظيفي، وهدفها كان محاولة معرفة كيفية الحفاظ على الاستقرار الداخلي والبقاء عبر الزمن، وتقوم بالأساس على مفهومين أساسيين هما البناء والوظيفة.

فهي "تنظر إلى المجتمع كوحدة مكونة من جماعات متعاونة متكاملة تجمعها قواعد ثقافية مشتركة. وأن الحالة الأساسية للمجتمع هي حالة التوازن، وبالتالي تهتم بالاستقرار والنظام ومصادره، وتنظر إلى التغير على أنه حالة طارئة يواجهها المجتمع، ليعود بعدها إلى حالة توازن جديدة. وبما أن المجتمع

يستقل في وجوده عن الأفراد، فإن الفرد منفعل، يتأثر بالبني والنظم الاجتماعية، ومقيد بما يحيط به من ظروف، فهو ليس حرا في اختياره وأفعاله"[10]،وعليه فالمجتمع الإفتراضي هو نسق كلي يضم عدة أنساق فرعية تقوم بعدة وظائف للمحافظة على استقراره، والأفراد في هذا المجتمع ينفعلون فيه ويتأثرون به وبالنظم والثقافة السائدة فيه.

ويسعى التحليل البنائي الوظيفي لمعرفة العلاقات التي تربط بين مختلف الأنساق الفرعية وكذا العلاقات بين هذه الأنساق والنسق الكلي، فهو بهذا يُمكِننا من معرفة نوع العلاقات التي تسود المجتمع الإفتراضي والأدوار التي يقوم بها كل نسق فيه، وكذا يمكننا من معرفة تأثير هذا المجتمع ودوره في المجتمع الواقعي.

المحور الثالث: المجتمع الافتراضي والهوية الافتراضية

1- مراحل تطور المجتمع الافتراضي

"يرى دي موور ووايجاند de Moor and Weigand أن تلك المجتمعات تمر بمراحل أربعة هي مرحلة التأسيس والتجريب، ثم مرحلة التدشين والانطلاق، ثم مرحلة النمو من الداخل ثم مرحلة النمو من الخارج. لنفترض مثلا موقعا للتواصل الاجتماعي بين مجموعة من المدرسين. سوف تكون البداية هي إنشاء الموقع وتجريبه على نطاق محدود، حتى إذا تيقن القائمون عليه من كفاءته أطلقوه. بعد ذلك ينضم مدرسون من خارج المجموعة إلى الموقع فيكون النمو من الداخل. قد يبقى الموقع مغلقا على هذه الفئة من الناس، لكن الغالب أن يفتح أبوابه لغير أفرادها فيكون النمو من الخارج، وتتزايد شعبية الموقع وشهرته وتتشعب أغراضه وغاياته."[11]

"وعبر مراحل تطورها، تسعى المجتمعات الافتراضية إلى خلق ما يسميه المهتمون بهذا الشأن الشعور بالمجتمع أو الجماعة، من أين ينبع الإحساس بالمجتمع أو الجماعة؟ يوجز ماكميلان وتشافيز McMillan and Chavis العوامل التي ينشأ من خلالها هذا الإحساس فيما يلي:

- الشعور بالانتماء إلى جماعة من خلال عضويتها ومتابعة ما يحدث فيها وسهولة التفاعل مع أفرادها وأحداثها.

- الشعور بالقدرة على التأثير influence/ impact في تلك الجماعة أو المجتمع الافتراضي من خلال ردود الأفعال التي يتلقاها الفرد من بقية أعضاء الجماعة أو أفراد المجتمع الافتراضي، وكذلك التأثر بما يحدث في المجتمع.

- تبادل الدعم support وإشباع الحاجات النفسية والشعورية والارتباط الوجداني بأفراد الجماعة من خلال تبادل التهاني والتعازي والمواساة والنصيحة وبطاقات المعايدة وما إلى ذلك."[12]

- "الحضور والتواجد availability: وهما نقيض العزلة والغياب اللذين نتجا عن هيمنة القيم المادية وانشغال الجميع بتأمين أسباب الحياة.لا يتصور أن يبقى المرء طويلا في مجتمع افتراضي ليس فيه من يتواصل معه فلا يسمع فيه إلا صدى صوته. سوف نلاحظ في باب الكلام عن سمات المجتمعات الافتراضية أن الحضور والتواجد الافتراضي ربما ينتهي إلى عزلة وغياب عن العالم الواقعي.

-الثقة trust: لا يستطيع الفرد أن يشعر بالانتماء إلى جماعة أو مجتمع لا يثق في أحد من أفراده ولا يشعر بالأمان فيه. من هنا تبقى المجتمعات الافتراضية في مجملها هشة ما لم تتأسس على علاقات سابقة في العالم الواقعي وما لم تحفظ سكانها من تطفل المتطفلين واحتيال المحتالين. لا بد أن يبذل أفراد المجتمعات الافتراضية جهدا مضنيا في التحقق من هويات من يتفاعلون معهم، ما لم يكن هناك سابق عهد أو "معرفة" على أرض الواقع، فعواقب الوقوع في براثن المحتالين قد تكون وخيمة. في سبيل الشعور بالثقة، يلجأ مستخدمو المواقع الاجتماعية وسكان المجتمعات الافتراضية إلى أصدقائهم في عالم الواقع. ومن أسباب الثقة انتماء الأفراد إلى مؤسسات معروفة حسنة السمعة، ومنها أن يكون هؤلاء الأفراد أنفسهم من الشخصيات العامة."[13]

2-سمات المجتمعاتالافتراضية:[14]

- الأعضاء لديهم غرض مشترك ،مصلحة و اهتمام و احتياج ،أو نشاط بسبب الانتماء للمجتمع المعني
- الأعضاء ينخرطون في مشاركة متكررة نشطة ، و غالبا ما تكون تفاعلات مكثفة ، و روابط حماسية قوية، تتمثل في مشاعر يظهرونها و أنشطة مشتركة تحدث بين المشاركين
- الأعضاء لديهم الوصول و النفاد إلى موارد مشتركة بينهم، و توجد سياسات و لوائح لتحديد الوصول بهذه الموارد
- وجود المعلومات و توافرها للجميع و الدعم و الخدمات بين الاعضاء أمر مهم في حركة المجتمع
- هناك إطار مشترك للتقاليد الاجتماعية و اللغة و البروتوكولات المتبعة

3- هوية وعلاقات الشباب بين الواقع والمجتمع الافتراضي

تعتبر فئة الشباب أكبر فئة في المجتمع الإفتراضي، وما بين المجتمع الواقعي والمجتمع الافتراضي يعيش الشباب بين هويتين، هوية حقيقية يعرفون بها في مجتمعاتهم، وتعد بطاقة تعريفهم في المجتمع، وهوية افتراضية يُعرفون بها في المجتمع الافتراضي، وهي "الشخصية التي يتم إنشاؤها من طرف المستخدم الإنسان الذي يعمل كصلة وصل بين الشخص الطبيعي والشخص الظاهري للمستخدمين."[15]

وقد يتمثل الشباب الهوية الحقيقية في المجتمع الإفتراضي، ولكن الغالب أنهم يتجهون لتمثل هوية أخرى غير هويتهم الحقيقية، والأرجح أنهم يتمثلون بما يرغبون أن يتمثلوا به، "فاستخدام الإسم المستعار، كقناع للذات قد يساعد في التعبير عن النفس بصورة أكبر، لشعور المرء بمسؤولية خفيفة، وابتعاده عن الوقوع في روتين الواجبات والقواعد الإجتماعية للتعبير عن النفس"[16]، ومنه فقد تكون الذات الفاعلة في المجتمع الإفتراضي مزيفة لا تمت للواقع بصلة، كما قد تكون هذه الذات معبرة عن مضامين تبحث لها عن وجود في الواقع، ولكنها لا تجد لذلك سبيلا، إثر الضوابط الإجتماعية وقيود المجتمع النابعة من خصوصيته، فباعتبار أن مرحلة الشباب هي المرحلة العمرية التي يُكَوِن فيها الفرد ذاته ويبني شخصيته ويبحث فيها عن استقلال ذاتي، فإنه في بحث مستمر للتخلص من القيود الاجتماعية، وهذا ما يوفره له المجتمع الافتراضي.

كما أن هذا الاختلاف قد يعود لأسباب ذاتية كالخجل وضعف الثقة بالنفس، فالمجتمع الإفتراضي يعد المتنفس الذي يتيح الفرصة للحديث بكل جرأة.

ولكن هذا لا ينفي أن هناك من الشباب من يحافظون علىشخصياتهم في المجتمع الافتراضي، وغالبا ما يكون هذا حين يكون التجول في هذا المجتمع لأسباب منطقية، فلا يتبنون إسما مستعارا بل يحتفظون باسمهم الحقيقي ويُعرفون بهويتهم الحقيقية. فالأمر يتعلق بمواصفاتهم والغاية التي يسعونلها.

وفي ظل تجول الشباب في المجتمع الافتراضي سواء بهويتهم الحقيقية أو هويتهم الإفتراضية فهم يشكلون علاقات مختلفة، فكما يقوم المجتمع الواقعي على التفاعل الاجتماعي فكذا يقوم المجتمع الإفتراضي على التفاعل بين مختلف المستخدمين، "فالمجتمع الإفتراضي يجمع أشخاصا من كل أنحاء العالم، يقيمون فيما بينهم علاقات تعاون، تبادل معلومات وخبرات، ويجرون مناقشات ثرية (خاصة في المواضيع الفكرية أو العاطفية)، أكثر مما هو عليه الحال في الحياة الواقعية"[17]، ذلك أن المحادثات الإلكترونية تتيح للشباب فرصالتمثيل الذات بثقة أكبر، فمن مزايا المكان الإفتراضي نهاية فوبيا المكان، فالموانع التي تَحول دون اندماجه بشكل ايجابي في الواقع تختفي في المجتمع الإفتراضي، كالخجل الشديد، ضعف الثقة بالنفس، الخوف من الآخرين، والعاهات الجسدية والنفسية، مما يتيح لهم فرصا أكبر لإقامة علاقات أكثر، سواءً كانت مع نفس بني الجنس أو الجنس الآخر، مع أفراد من نفس الثقافة أو ثقافة أخرى.

والعلاقات الإفتراضية رغم استمرار بعضها إلى درجة التحول لعلاقات واقعية، فإن أغلبها هي علاقات غير آمنة، فالجهل بمصداقية هوية كلا الطرفين يَدَعُ دائما مجالا للشك، وهذا ما يحدث مشكلات خاصة إذا ما أرادو أن يلتقوا في الحياة الواقعية، وبخاصة إذا كانت العلاقات حميمية، ففي هذا الخصوص "راقب أحد الباحثين عدد خمسين حالة علاقة على الشبكة، من خلال غرف الدردشة، ولم تستمر سوى عدد ثلاث حالات أكثر من ستة أشهر. وتبين أن المشكلة تكمن في عدم المصداقية في تقديم الذات كما هي على الشبكة، إن الصدمة تأتي في ما بعد حين يجد المشارك أنه ربما وقع في علاقة مع أو حب أيقونة على رأي هذا الباحث"[18]، فهذه العلاقات تفتقر للثقة، مما يجعلها هشة قابلة للزوال في أي وقت، ووفق الباحث مايكل ستورا " فكما تبنى الصداقات في العالم الإفتراضي سريعا فإنها تنتهي بكبسة زر، يكفي أن يقرر المرء أن ينسحب، ويقفل جهاز الكمبيوتر ليدخل عتمة النسيان سيسأل عنه أعضاء مجموعته ثم ينسون أنه وجد بينهم."[19]

المحور الرابع: تأثير المجتمع الافتراضي على الشباب

إن التداول الافتراضي يجعل أطراف التواصل محل تنشئة إلكترونية، فما دام هناك تفاعل وتواصل فهناك تعلم لقيم جديدة وأفكار جديدة، من خلال مختلف المضامين التي يتعرض لها الشباب في هذا المجتمع، هذه المضامين التي تتعدد محتواها وقيمها وثقافاتها، مما يجعلهم عرضة للتجرد من ثقافتهم عن طريق تعلمهم لقيم جديدة تحل محل قيم مجتمعاتهم، فالثقافة ما هي إلا " معايشة الواقع انطلاقا من القيم."[20]

والمجتمع الافتراضي باعتباره المجتمع الثاني لشباب اليوم، أضحى ذو تأثير كبير على حياتهم الواقعية، سواء على مستوى العلاقات الاجتماعية أو على مستوى التفكير وثقافة الحياة:

- بالنسبة للعلاقات فعلى الرغم من إتاحة هذا المجتمع لفرصة تشكيل العديد من العلاقات مع كلا الجنسين ومع مختلف الافراد من ثقافات مختلفة، إلا أنه بذلك أخرج الشباب من عزلتهم لينتهي بهم إلى عزلة جديدة هي عزلة عن المجتمع الواقعي، فصاروا على تواصل أكبر مع معارفهم في المجتمع الافتراضي عن تواصلهم مع معارفهم في المجتمع الواقعي، فأسسوا بذلك علاقات وهمية صارت أهم من علاقاتهم الحقيقية، وقد فظهرت إثر ذلك ظواهر إجتماعية جديدة، من أبرزها ظاهرة الزواج والطلاق عبر الانترنت.
- أما بالنسبة لتأثير المجتمع الإفتراضي في تفكيرهم وثقافتهم وقيمهم، فالشباب في هذا المجتمع يتلقون الرسائل بشكل انفرادي في سياق جماهيري ذي أبعاد مختلفة، بعيدا عن كل أنواع الرقابة والضوابط الإجتماعية، مما يجعلهم عرضة لرسائل لا أخلاقية، ولأفكار لا تتبع من المنظومة القيمية لمجتمعاتهم، فيجدون أنفسهم محاطين بنماذج ثقافية متنوعة، مع الوقت وبالتفاعل المستمر معها يتبنون تدريجيا قيمها ومعانيها مما قد يؤدي بهم للعيش في عالم من الأوهام، يقودهم في نهاية الأمر للوقوع في اغتراب ثقافي وصراع بين ثقافتهم الأصلية وثقافتهم الإفتراضية، "فثقافة المجتمع الإفتراضي ،ثقافة عابرة للهوية والقومية وتتميز بكونها ثقافة فرعية تختلف عن الثقافة الإجتماعية العامة للمجتمع فهذا النوع من الثقافة الفرعية يؤثر بصورة مباشرة على مفردات الجماعة الإفتراضية فتغيرأسلوب حياتهم كما تؤثرعلى إدارة تسيير شؤون الحياة والممارسة اليومية لمختلف مظاهرالحياة."[21]

ومما كان منتظرا من المجتمع الافتراضي هو التوحيد بين مختلف المجتمعات، ولكن "بدلا من أن يحدث الاندماج الثقافي بين الشعوب المختلفة ليتحول العالم إلى قرية عالمية كما زعم (ماكلوهان) نجد أنفسنا مستقطبين إلى آلاف المقاطعات المنعزلة، يستخدم كل فرد وسيلته الخاصة، ويطور لغته التي تناسبه، تزداد الفروق والاختلافات بدلا من ترسيخ التماسك والدمج في أمة واحدة"[22]، فظهور المجتمع الإفتراضي بدل من أن يوحد ثقافات المجتمع جعل في المجتمع الواحد عدة ثقافات كلها تصب في قالب الثقافات الغربية، نتيجة للتعرض الانفرادي للرسائل مما يجعلها عرضة لعدة تفاسير فكما أشار بلومر " يمكن أن يفهم الموقف الواحد بشكل أو بمعنى مختلف من فرد إلى آخر."[23]

خاتمة :

تستمدهوياتنا الشخصية معناهامن الوعي بالذات وتميزها الفردي عن الآخرين ، إلا أن التواجد في الفضاء الافتراضي يجعل هوية الفرد محل بحث وسؤال، خاصة وأن خصائص الحضور الفيزيائي والتي تتمثل في المظهر، الملبس، اللون، والهيئة والجنس وغيرها،تنمحي وتفتقد العناصر الظاهرية للفرد،فيصبح الفرد يعرف من خلال عنوان جهاز الحاسوب أو عنوان اسم المجال أو عنوان البريد الإلكتروني أو الاسم المستعار أو الصورة الرمزية التي يقدمها وغيرها من الأشياء التي قد لا تعكس الهوية الحقيقية ولا تقدم القدر الكافي من المعلومات لمعرفة حقيقة الفرد، فالمجتمع الافتراضياليوم أصبح مجتمعا موازيا للمجتمع الواقعي، يقوم على أساس التفاعل ما بين المستخدمين من مختلف الأماكن

في العالم، والاتصال فيه يتجاوز إلزامية الحضور الفيزيقي لأطراف التواصل الاجتماعي، فهو يتعامل مع الأفراد في شكل انفرادي يتداولون مضامين في سياق جماهيري ذي أبعاد ثقافية مختلفة، تؤثر في قيمهم وثقافتهم، وتكسبهم ثقافة جديدة تؤدي بهم للوقوع في صراع بين ثقافتهم الأصلية وثقافتهم الافتراضية، وتأثيرات هذا المجتمع الافتراضي تمثلت في بناء علاقات كثيرة مع مختلف الأجناس والأنواع البشرية، إلا أن هذه العلاقات أغلبها علاقات هشة لا تستمر لوقت طويل.

ولا بد أن نشير أن هذا لا ينطبق على علاقات الأفراد بعائلاتهم البعيدة حيث تزيد من تقارب العائلة الواحدة، فاليوم ومع تطور تكنولوجيا التواصل فإنه أصبح أيسر على العائلات متابعة أخبار بعضهم البعض عبر مواقع التواصل الاجتماعي، خاصة وأنها أرخص من نظيراتها الأخرى من وسائل الاتصال المختلفة، ولذلك فقد أصبحت العديد من العائلات العربية تطمئن على أصول أديانها عبرالتواصل من خلال الفاسبوك أو بالتحدث المرئي عبرسكايب وغيره،كما أنه وعلى الرغم من أن العلاقات في المجتمع الافتراضي علاقات لا تستمر لوقت طويل فهذا لا ينفي أن هذا المجتمع انبثقت عنه علاقات وثيقة أدت إلى التعارف على أرض الواقع لكن تظل هذه النسبة قليلة مقارنة بالعلاقات الفاشلة في هذا الاخير، فمن الصعب إطلاق أحكام مسبقة وعامة لعالم ديناميكي سيظل يتطور أكثر فأكثر، ومن الصعب كذلك تحديد لما قد يتقمص الفرد شخصية غير شخصيته، فهناك عوامل عدة تختلف من فرد لآخر، فالحياة في المجتمع الافتراضي وفي المجتمع الحقيقي والمقارنة بينهما واختلاف شخصية الفرد بينهما وتأثير المجتمع الافتراضي على حياة الفرد في المجتمع الحقيقي لا يزال موضوعا يحتاج لمزيد من البحث والدراسة والتحليل، ولهذا لا بد من الاهتمام أكثر بهذا الموضوع، والعمل أكثر على محاولة فهم وتفسير هذا المجتمع لما له من تأثيرات على الحياة في المجتمع الواقعي.

الهوامش

[1]– عزت حجازي، **الشباب العربي ومشكلاته**، عالم المعرفة، الكويت، فبفري 1985، ص28.

[2]– علي وطفة، ماهر زحلوق، **الشباب قيم واتجاهات ومواقف**، دار الينابيع، ط1، دمشق–سوريا–، 1994، ص48.

3–شاشة المغرب العربية، **العلاقة بين المدرسة والمجتمع**،

https://sites.google.com/site/preparer212/aprrendre/reussir–8 02/03/2018 12:00

[4]–ر.م. ماكيفرشارلزبيبج، **المجتمع**، ترجمة علي أحمد عيسى، مطبعة مصر، القاهرة، 2000، ص– ص: 12–13.

[5]– كلثوم بيبيمون، **السياقات الثقافية الموجهة للهوية الرقمية في ضوء تحديات المجتمع الشبكي من التداول الافتراضي إلى الممارسة الواقعية**، مجلة إضافات، العدد 35، جامعة لخضر باتنة–الجزائر–، 2012، ص76.

[6]– عليمحمدرحومة،**علمالاجتماعالآلي**،

مقاربةفيعلمالاجتماعالعربيوالاتصالعبرالحاسوب،عالمالمعرفة،الكويت،2008،ص24.

[7]– محمدشابي، **التنشئةالاجتماعيةعبرالمجتمعالافتراضي "مقاربةابستمولوجية"**،مجلة التواصلفيالعلومالإنسانيةوالاجتماعية، عدد47، جامعةباجيمختار،عنابة، سبتمبر2016، ص155.

[8]– حبيبنبلقاسم: **المجتمعاتالافتراضيةوالشبابالعربي: أيعلاقة؟**، مجلةالحقيقة، العدد27،جامعةالأدرار–الجزائر،2013،ص– ص: 466–467 .

[9]– مريم زعتر، **الاعلان في التلفزيون الجزائري**، رسالة ماجستير في علم الاعلام و الاتصال، جامعة منتوري قسنطينة، 2008/2007، ص42.

[10]– منى عزت أحمد السين، **إسهامات روبرت ميرتون في النظرية البنائية الوظيفية**، رسالة الماجستير في علم اجتماع، الجامعة الأردنية، 2002، ص1.

[11]– عبدالعال الديربى: **المجتمعات الافتراضية: التعريف.. التطور..الغايات**، نقلا عن موقع http://accronline.com/article_detail.aspx?id=9683/13h:54/13/04/2018

[12]– **المرجع السابق.**

[13]– **المرجع السابق.**

[14]– عليمحمدرحومة، **مرجع سبق ذكره** ،ص–ص: 86–87.

[15]– بايوسف مسعودة، **الهوية الافتراضية:الخصائص والأبعاد– دراسة استكشافية على عينة من المشتركين في المجتمعاتالافتراضية–**، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد05، جامعة قاصدي مرباح ورقلة–الجزائر– ، فيفري 2011، ص470.

[16]– علي محمد رحومة، **مرجع سبق ذكره**، ص146.

[17]– هواري حمزة، **مواقع التواصل الاجتماعي وإشكالية الفضاء العمومي**، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 20، جامعة الجزائر، سبتمبر2015، ص226.

[18]– علي محمد رحومة، **مرجع سبق ذكره**،ص147.

[19]– لحبيبنبلقاسم، **مرجع سبق ذكره**، ص– ص: 498–499.

[20]– ساعد هامش، **نظرية الحتمية القيمية في الإعلام من التخصيص إلى التعميم من علوم الإعلاموالاتصال إلى العلوم الإنسانية الاجتماعية**، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد السادس، جامعة باتنة، جانفي2014، ص205.

[21]– محمدشابي، **مرجع سبق ذكره**، ص156.

[22]– حسن عماد مكاوي، **تكنولوجيا الاتصال الحديثة في عصر المعلومات**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط2، 1997، ص253.

[23]– جهاد على السعايدة، **أسباب العنف المدرسي ووسائل الحد منه من وجهة أولياء أمور طلبة المرحلة الاساسية العليا في الاردن**، مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية ، المجلد41، العدد1، الجامعة الاردنية، 2014 ،ص59.